



المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية

Algerian Journal of Historical and Legal Studies

الرقم الدولي: 1025-2437 I.S.S.N

الرقم الدولي التسلسلي الإلكتروني: 6510-2600 E.I.S.S.N

المجلد: 11 العدد: 01 - تاريخ النشر: 14 ماي 2026

إشكالات استحضار التاريخ في روايات جرجي زيدان التاريخية ص (05 - 22)

د. فاطمة عمّاري

إشكالات استحضار التاريخ في روايات جرجي زيدان التاريخية

The Problems of evoking the history in Jurji Zaydan's historical novels

د. فاطمة عمّاري – جامعة البليدة 2 علي لونيبي (الجزائر)

Ammarifatma123@gmail.com

تاريخ النشر: 2026 / 05 / 14	تاريخ القبول: 2026 / 01 / 16	تاريخ الإرسال: 2026 / 01 / 01
-----------------------------	------------------------------	-------------------------------

الملخص:

بمجرد ذكر جرجي زيدان تتبادر إلى أذهاننا سلسلة "روايات تاريخ الإسلام"، التي تعالق فيها التخيلي مع التاريخي، تناول خلالها الأديب مراحل التاريخ الإسلامي الممتد من الفتح إلى دولة المماليك، وقدمها بصورة مشوّقة وصياغة تستهوي القارئ وتشدّه إليها. وهنا نتساءل عن أسباب اختار جرجي زيدان لهذا النوع الأدبي، وعن الآليات المنهجية التي اعتمدها توظيفاً للتاريخ في نصوصه السردية، وكيف استُقبلت أعماله في الوسط النقدي العربي.

الكلمات المفتاحية: جرجي زيدان، الرواية التاريخية، روايات تاريخ الإسلام.

Abstract:

When we mention Jerji Zidan, the series "Novels of Islamic History" immediately comes to mind, in which fiction is intertwined with history. In it, the author deals with the stages of Islamic history from the conquest to the Mamluk state and presents them in an exciting way. Here we ask why Jurji Zaydan chose this literary genre, what methodological mechanisms he used to employ history in his narrative texts, and how his works were received by Arab critics.

Keywords: Jurji Zaydan, historical novel, Novels of Islamic History.



مقدمة:

إن إدراك حقيقة العلاقة بين الرواية كشكل من أشكال الفن الإبداعي، والتاريخ الذي يمثل ماضي وتراث الأمم والشعوب، لا يكون إلا بإبراز نقاط التفاعل بين النص الروائي والنص التاريخي، والإشكال هنا لا يتعلق بالتاريخ بقدر ما يتعلق بالرواية، لأننا بصدد نص أدبي منتج استطاع صاحبه أن ينسج علاقات خاصة مع التاريخ، دون تكرار التاريخ كمادة موثقة موجودة، وهذا ما يثير تساؤلات عن طبيعة تفاعل الروائي مع التاريخي، وكيفية تمكن الأديب من إنتاج نص جمالي من خلال توظيف مادة تاريخية؟ وما هي الوظيفة المستندة للتاريخ ضمن هذا الإنتاج الإبداعي؟ ومنتج النص، هل كان هدفه انجاز رواية أم تعليم تاريخ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات جاءت هذه الدراسة في ثلاثة محاور رئيسية، نتطرق في المحور الأول لجرجي زيدان الروائي والعوامل التي وجهته نحو كتابة الرواية التاريخية، أما المحور الثاني فيتعلق بشرح طريقته ونهجه في تأليف الرواية التاريخية، يكون المحور الثالث والأخير عرضا لوجهات نظر النقاد العرب ومواقفهم المتباينة تجاه أعماله.

ونبتغي من خلال هذه الدراسة تقديم تفاصيل العمل الروائي للأديب جرجي زيدان، الذي اعتبر أبرز وأشهر من كتب الرواية التاريخية في مطلع القرن العشرين عند العرب، والتي ما تزالت تحقق نجاحا وانتشارا عند القراء إلى يومنا هذا ⁽¹⁾، نظرا لاعتماده المزج بين الواقع والخيال، من خلال نسج قصة رومانسية يدمجها مع أحداث تاريخية مشهورة من التاريخ الإسلامي.

1- جرجي زيدان الروائي:

أ - نبذة عن جرجي زيدان:

جرجي حبيب زيدان من مواليد 14 ديسمبر 1861 بعين عنوب البيروتية، لم يكن مشواره في التعليم النظامي موفقا إذ ترك مدرسة الشوام الابتدائية وهو ابن الثمان سنون، بعد أن تمكن من أساسيات اللغة الفرنسية، ليلتحق بمدرسة مسائية سعيًا معه لإتقان اللغة الإنجليزية، مستثمرا الفترة الصباحية في تعلم صناعة الأحذية حينًا ومعيًا لوالده في مطعمه حينًا آخر، دون التخلي عن

1- قاسم عبد قاسم، أحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب الحديث، دار المعارف، دط، القاهرة، 1974، ص 186.



القراءة والإطلاع كهواية مفضلة، فقد عرف عن جرجي الطفل ميله القوي وشغفه العظيم للمعرفة وللأدب.

وتزامنا مع ابتعاده عن المدرسة المسائية، ترك العمل مع أبيه ليلتحق بالجامعة الأمريكية بعد تفوقه في اجتياز امتحان القبول بسوريا، اختار دراسة الطب أولا ثم عزف عنها إلى الصيدلة، ثم تركها مرغما، فيمّم وجهه شطر مصر وفيها انصرف إلى الأدب، منخرطا في سلك الصحافة والترجمة، ثم امتهن التدريس ليتوجه أخيرا إلى التأليف والنشر، بعد تأسيسه لدار الهلال للطباعة والنشر، وكان أول موسم قطاف لها سنة 1892 بثمره سماها "الهلال"، بسط خلالها أروع إبداعاته في سرح الكتابة والتأليف في عالم الصحافة والأدب والتاريخ.

ظلّ متعطشا للّهل من منابع العلوم وبساتين المعرفة الواسعة إلى أن قبضت روحه بتاريخ 12 جويلية 1914 بالقاهرة، بين كتبه وأوراقه مخلفا رصيда إبداعيا ضخما، بين رفوف المكتبات العربية والعالمية، ذاك هو جرجي زيدان، أكثر أقطاب النهضة الأدبية العربية بروزا بأعماله الخالدة.

ب- المنشأ الثقافي لجرجي زيدان:

جرجي زيدان ولد وتربى وعاش ضمن أسرة مسيحية أصرت على تلقينه تعاليم ديانته، فعندما أتم الخامسة من عمره أرسله والده إلى مدرسة يشرف عليها القس إلياس شفيق، تهتم بتعليم أبجديات القراءة والكتابة والحساب، وعندما اشتد عوده بدأ يعين والده في مطعمه الذي يرتاده أكثر خريجي الكلية الأمريكية ورجال الصحافة، مما سهّل له الانتظام في جمعية "شمس البر" التي أنشئت في بيروت والتي كانت فرعا لجمعية "الشبان المسيحيين" في إنجلترا⁽¹⁾، ثم انصرف إلى الطب وبعدها إلى الصيدلة، لمهاجر إلى مصر وعمل في صحيفة الزمان في سنة 1884 لمدة تزيد عن السنة.

بعدها انتظم في سلك المخابرات البريطانية مترجما بحكم إتقانه للغة العربية والفرنسية والإنجليزية، ثم قفل راجعا إلى بيروت ليتعلم العبرية والسريانية بعد انخراطه في المجتمع العلمي الشرقي للبحث في العلوم والصناعات، لينال سنة 1886 الميدالية الإنجليزية من قبل مخابراتها، مع منحه دعوة لزيارة لندن، خلالها "تعرف على البلاد الأوروبية فزار بلاد الإنجليز وفرنسا وسويسرا

1- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، دار الفكر، ط 3، دمشق، 1982، ص 15.



وطاف بأنديتها العلمية والأدبية وزار متاحفها وعرف ما فيها... وتفقّد مكاتبها⁽¹⁾، والتي حمل منها الكثير في فكره، دون أن تغفل عن العلاقات التي أقامها مع العديد من المستشرقين أمثال كريفلوس فاندريك، نولدكه، فلهاوزن، وليام رايت وماكدونالد وراتشكوفسكي وغيرهم كثير⁽²⁾ علاقات وثيقة، إما مراسلة أو لقاءً شخصياً.

وقد كان تأثر جرجي بمنهج هؤلاء في دراسة تاريخ الآداب العربية جلياً، من خلال إدراجه في الصفحات الأولى من مؤلفه "تاريخ التمدن الإسلامي" عناوين المراجع الفرنسية والإنجليزية والألمانية التي اعتمد عليها، حتى أنه أثنى عليهم فيها واصفاً إياهم بـ "أفاضل الإفرنج"⁽³⁾.

ومما سبق يمكن أن نستخلص من حياة جرجي: طفولة صنعتها المدارس التبشيرية بلبنان، وعقل نمّطته الاستخبارات البريطانية، وشخصية منبهة بالفكر الغربي، بأعلامه وحضاراته.

ج - أهم أعماله:

بدأ جرجي زيدان رحلته في التأليف سنة 1889، دامت خمسة وثلاثون حولاً ونيف، تميزت كتاباته بالثراء والضحامة، ابتكر فأبدع وجاد فتفرد فحقّق له ميزة السبق في لون من ألوان الأدب وهو الرواية التاريخية، وفي هذا الصدد يؤكد أحمد حافظ: "لولا يقيننا وعلمنا الذي لا مسارب للظن فيه بأن الرجل هو الذي كتب بقلمه كل هذا الإنتاج منفرداً... لداخلنا الشك وتسربت إلينا الظنون بأنه لم يكن منفرداً فيه ذلك أنه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد"⁽⁴⁾، جاد بما يزيد عن الأربعين مؤلفاً، تنوعت محتوياتها ومضامينها باختلاف المواضيع المتناولة، بين التاريخ والجغرافية والأدب لا سبيل لسردها جميعها، لذا سنكتفي بذكر بعضها:

- كتب التاريخ: تاريخ مصر الحديث من الفتح الإسلامي إلى الآن 1889، تاريخ التمدن الإسلامي في خمسة أجزاء صدر ما بين 1902/ 1906، أنساب العرب القدماء 1906، تاريخ العرب قبل الإسلام، صدر منه جزء واحد 1908.

1- نظير مارون عبود، جرجي زيدان حياته أعماله ما قيل فيه، دار الجيل، دط، بيروت، 2000، ص 23.

2- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، ص 17.

3- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، دط، ج 3، دون ذكر مكان الطبع، دت، ص 7.

4- نظير مارون عبود، جرجي زيدان حياته أعماله ما قيل فيه، ص 30.



-كتب السير والتراجم: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر 1902، رحلة جرجي زيدان إلى أوروبا عام 1902، بناء النهضة العربية، كتاب الهلال العدد 72.
-كتب الجغرافيا: مختصر جغرافيا مصر، 1891، عجائب الخلق، الهلال 1912.
-كتب اللغة العربية وتاريخ آدابها: تاريخ اللغة العربية 1904، تاريخ آداب اللغة العربية أربعة أجزاء 1911، البلغة في أصول اللغة، كتاب مفقود.
-كتب في الاجتماع: علم الفراسة الحديث وموضوع الاستدلال على أخلاق الناس: كتاب مفقود، مختارات جرجي في فلسفة الاجتماع والعمران طبع عام 1920.
-سلسلة روايات تاريخ الإسلام: فتاة غسان، في جزأين، أرمانوسة المصرية، عذراء قريش، 17 رمضان، غادة كربلاء، الحجاج بن يوسف، وروايات أخرى، عددها في مجملها اثنان وعشرون رواية.

2- منهجه في كتاب الرواية التاريخية:

أ - لماذا الرواية التاريخية؟

إنّ علة اكتساح جرجي زيدان لعالم الشهرة الأدبية مردها دون تسرب أدنى شك تلك السلسلة المسماة "روايات تاريخ الإسلام"، والتي غطى بها مراحل التاريخ الإسلامي الممتد من أيام الفتح إلى دولة المماليك، وترتبط أهمية هذه الروايات في تقديمها للتاريخ بصورة مشوقة وصياغة تستهوي القارئ وتشدّه إليها.

وأول سؤال قد يتبادر إلى ذهن القارئ لأعمال زيدان الروائية، هو لماذا اختار هذا النوع الأدبي بالتحديد؟ وما هي غاياته منه؟

لقد قدّم لنا زيدان روايات مادتها الخام تاريخية، أعاد خلالها صياغة التاريخ بأسلوب قصصي سهل، طريقة تُوجت باهتمام معاصريه من النقاد الذين تناولوها بالبحث والدراسة، إذ غاصوا في جزئياتها سعيا لتمثيلها في حقيقتها، فاعترضوها لعدم جدوتها، غير أن جرجي ردّ عليهم قائلا: "نحن إذا متفقان في وجوب نشر التاريخ الإسلامي، ولكننا مختلفان في طريقة النشر (...)" فقد رأينا نشره في روايات تلذ مطالعتها، ورأيتهم حصره في تاريخ مجرد من الفكاهة، ولكنه في رأينا لا يفي بالغرض الذي أنشأنا الهلال لأجله وهو تعميم العلم بين الناس على اختلاف مداركهم، وتفاوت

معارفهم"⁽¹⁾، حيث يرى أنّ خير قالب يساهم في تحقيق هدفه المنشود في تعليم التاريخ هو الرواية، ويواصل تأكيده لهذا الرأي فيقول: "وقلما يميل الناس إلى مطالعة التاريخ مجرداً من الفكاهة إلا فئة قليلة من طلاب العلم"⁽²⁾، ويواصل شرح غاياته من توظيف التاريخ في أعماله الروائية مؤكداً أنّه لا يريد "بالرواية التاريخية أن تكون حجة ثقة يرجع إليها في تحقيق وتمحيص الحقائق، ولكننا نريد أن نمثل التاريخ تمثيلاً إجمالياً بما يتخلله من أحوال الهيئة الاجتماعية (المجتمع) على أسلوب لا يستطيع التاريخ المجرد إذا صبر الناس على مطالعته.. فإن جردت روايتنا من عبارات الحب كان تاريخاً مدققاً يصح الاعتماد عليه، والثوق به، والرجوع إليه، وإن كنا لا نطلب الثقة بها إلى هذا الحد، وإنما نعرف لها مزية هي تشويق العامة لمطالعة التواريخ باطلاعهم على بعضها على سبيل الفكاهة"⁽³⁾، وبذلك يرجع سبب اختياره لفن الرواية قناعة راسخة ويقين لا يداخله شك، أنّها أنجع وسيلة لترغيب الناس وتحبيبهم في مطالعة التاريخ والاستزادة منه⁽⁴⁾ وبها كرس الرواية لخدمة التاريخ.

وهنا نتساءل مرّة ثانية عن سرّ إصرار جرجي زيدان على تعليم التاريخ، لما اختار النص التاريخي دون سواه ليتناص مع إبداعاته السردية؟ ولما هذه الرغبة الجامعة في تعليم التاريخ؟⁽⁵⁾

لقد برز هذا الاهتمام بالمادة التاريخية كنتيجة لخلفية ثقافية علمية وأدبية واسعة، بحكم شغفه بالمطالعة وحبّه الشديد للكتب، فتمعّن في أمهات الكتب التاريخية ونهل منها، بل وجعلها أهمّ المراجع في الكتابة الروائية لديه، وكذلك رحلاته ومشاهداته الكثيرة، التي جعلته دائم الاحتكاك بالمجامع العلمية العربية منها والأوروبية، دون أن يغفل إلمامه ومعرفته لكثير من اللغات القديمة والحديثة، حيث مكنته من التمتع بقراءة روائع الأدب الغربي في لغته الأصلية، مما فسح له مجالاً واسعاً لإمكانية التأثير ببعض كتبهم البارزين أمثال، والتر سكوت والإسكندر دumas⁽⁶⁾ وغيرهما كثير.

1- قاسم عبد قاسم، أحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب الحديث، ص 200.

2- المرجع نفسه، ص 201.

3- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، دط، مصر، 1968، ص 26.

4- المرجع نفسه، ص 50.

5- المرجع نفسه، ص 97.

6- غنيمي هلال، الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 4، القاهرة، 1970، ص 246.



وإضافة لكل ما ذكرناه "يشير صبري حافظ إلى أن اللجوء إلى التاريخ لم يكن بدافع حب القديم فحسب، بل محاولة لإيقاظ إحساس القراء بالكبرياء الوطني وتوفير عناصر الإلهام والقُدوة لهم ويسهم في سعيهم للوصول إلى تحديد لهويتهم القومية بتذكيرهم بأمجادهم الماضية"⁽¹⁾، إذ يؤكد فكرة متداولة تفضي بضرورة معرفة الإنسان لماضيه الراسخ في تراثه الحضاري؛ كبنية أساسية لبناء هوية وطنية صلبة تتشكل ملامحها برصد المواقف السالفة، والاستفادة من أخطاء زعمائها مع بحث لمراكز القوة و بيان أسبابها، المراد منها تنشئة مواطن ينتهج منطلقات فكرية وأسس عقلية وأخلاقية سليمة، تمثل خلاصة الشخصية التواقفة للنجاح والتفوق العلمي الذي يحقق ازدهار وتطور الأمم وانتعاش مجتمعاتها على جميع الصعد، وهذا ما كان يصبو إليه جرجي زيدان من رواياته التاريخية.

ب- منهج التأليف الروائي عند جرجي زيدان:

إنّ المطلع على إنتاج زيدان الروائي، يلحظ تشابه رواياته في خطوطها العريضة⁽²⁾ ويظهر هذا التشابه بصورة جلية في الصفحات الأولى منها، فيما يتعلق بإدراج المراجع التي استمد منها مادته، والتي جعلها لازمة لا تفارق أي عمل من أعماله الروائية، ثمّ إنّ حرصه هذا يدلّ على اعتماده خطة محددة انتهجها في التأليف الروائي، مكنته من نسج خيوط رواياته بقدره فائقة ومهارة عجيبة⁽³⁾، ففيم تتمثل خطواته المنهجية في توظيف المادة التاريخية خلال بناء نصوصه السردية؟

قد صرّح جرجي زيدان بنهجه المتبع في الكتابة والتأليف الروائي في مقدمة رواية الحجاج بن يوسف الثقفي، والتي يقول فيها: "وأما نحن؛ فالعمدة في رواياتنا على التاريخ، وإنما نأتي بحوادث الرواية تشويقاً للمطالعين، فتبقى الحوادث التاريخية على حالها، ندمج فيها قصة غرامية، تشوق المطالع إلى استتمام قراءتها، فيصبح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ من

1- روجر آلن، الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، 1997. ص 50.

2- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 103.

3- محمد يونس نجم، القصة في الأدب العربي، دار الثقافة، دط، بيروت، دت، ص 179.

حيث الزمان والمكان والأشخاص، إلا ما تقتضيه القصة من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة⁽¹⁾، من ثمة يتجلى لنا منهجه فيما يلي:

— اختيار حدث من بين حوادث تاريخ الإسلام يجعله جوهر الرواية وموضوعها: وغالبا ما يتحرى الصلة بينه وبين موضوع الرواية السالفة، لتتحقق خاصية السلسلة التعاقبية.

— توثيق الحوادث بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخون عن هذه الحادثة: ويقوم بتمحيصها وغايتها الدقة التاريخية التي تكفل له الإلمام بشتى جوانب الموضوع، يقول في ذلك: "وقد عانينا المشاق الكبرى في استخراج حقائق تلك التواريخ من كتب القوم فرمنا قرأنا المجلد الضخم، فلا نستفيد إلا بفقرة أو فقرتين، ولا تتم الحقيقة الواحدة إلا بمطالعة المجلدين أو الثلاث"⁽²⁾، وفي موضع آخر يقول: "فقضيتنا بضع عشر سنة ونحن لا تقع لنا شاردة إلا قيدناها، وملاحظة إلا حفظناها وتدبرناها"⁽³⁾

— البحث عن قصة غرامية خيالية: لغرض دمجها ضمن سياق الحوادث التاريخية المنتقاة سابقا كخطوة أولى، مرد ذلك اقتناعه بنجاعة هذا المنهج في بسط حوادث التاريخ وفعاليتها التأثيرية المباشرة في القارئ، يقول بهذه المسألة: "أما إذا سبكنا ذلك التاريخ في قالب رواية فإنه يقرأه بشوق ولذة، فلا يلبث وهو يظن نفسه يطالع قصة فكاهية أن يتناول شيئا من حوادث الإسلام يزيد رغبة في مطالعة تاريخهم"⁽⁴⁾، فهو دائم الإلحاح على ضرورة الاحتياط في نشر العلم بين الناس بمراعاة ميولا تهم واختلاف مستوياتهم، إذ يرى أنّ نشر التاريخ مجردا لا يفيد إلا المثقفين ذوي الهموم المعرفية، لذا يفضل سرد الحقائق التاريخية ضمن سياق الحكاية الغرامية، التي تمثل عنصر التشويق في الرواية.

— مرحلة التحرير: فيها يقوم بربط جميع أجزائها، بعد أن تمر حوادثها في ذهنه كتصور أولي لها - خاصة وأنه قرنهما بصدور مجلة الهلال الشهرية- ذلك أن اعتماده على التاريخ كما ورد في الكتب لا يعني أبدا استعادته إثر عملية آلية، بل يخضع لإعادة تركيب وربط وتعديل قبل التحرير النهائي،

1- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص 240.

2- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج1، ص 10.

3- المرجع نفسه، ص9.

4- قاسم عبده قاسم، أحمد إبراهيم الهواري، الرواية التاريخية في الأدب الحديث، ص200.



بحيث تتماشى الأحداث التاريخية والمتخيلة لتتعلق فيما بينها، لتشييد بناء له من التماسك والجمالية ما يدعونا لإنصاف جهده المبذول فيما قرأ وفيما جمع وفيما صمّم وفيما حرّر.

3- وجهات نظر النقاد العرب في أعمال جرجي زيدان؛ بين المؤيد والمعارض:

كثيرة هي المؤلفات الأدبية المدرجة ضمن ما يعرف بتاريخ الأدب ككتب الأعلام والمشاهير، التي أجمعت أن جرجي زيدان خير من مثل بدايات الرواية التاريخية، بل هناك من جعله مؤسساً لهذا اللون الروائي الحديث⁽¹⁾، وهو ما أشعل فتيل الجدل و بين مؤيد مستحسن ومعارض مستهجن، فتضاربت بذلك وجهات النظر، كل فريق اتخذ لنفسه أقوالاً وآراء أسس عليها مواقفه وأحكامه النقدية.

أ- كفة المؤيدين (زيدان معلم التاريخ):

يشيد "مارون عبود" بما قام به جرجي زيدان فيقول: "جرجي زيدان يبتدئ فضله بأنه علم نفسه، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخر ويسمو بأنه كان في مدى حياته كلها معلماً لغيره"⁽²⁾. لقد خاض جرجي زيدان في مسائل التأليف والتصنيف ما يربو عن الربع قرن، قيّد سنين حياته بهدف نبيل سعى مسترسلاً لتحقيقه، هو تعليم التاريخ.

ويقرّ "سهيل إدريس" بفعالية نصوص زيدان لدى المتلقي، حين صنفه ضمن رواد القصة في الأدب العربي الحديث، فهو يرى بأنّ الرواية العربية قد اجتازت شوطاً واسعاً وافراً على يديه "وأولى مزاياه أنه عمّم التاريخ، وجعل الشرق العربي يهتم بتاريخه عن طريق الرواية... فنفض الغبار عنه"⁽³⁾، حتى أنه حرص على جعل رواياته مرجعاً تاريخياً يعتمد عليه في حال تصفيته من عنصره الغرامي، ومن مظاهر هذا الحرص تلخيصه للمحتوى التاريخي لكل رواية بعد العنوان مباشرة، ففي رواية "غادة كربلاء" يشير لموضوعها فيقول "تتضمن مقتل الإمام الحسين بن علي وأهل بيته في سهل كربلاء ووقعة الحرة وولاية يزيد بن معاوية، وما جرى من الأحداث والفتن إلى وفاته سنة 64

1- اكناتي كرا تشكو فسكي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، تقديم وترجمة: عبد الرحيم العطوي، دار الكلام للنشر والتوزيع، دط، الرباط، 1984 ص 33.

2- نظير مارون عبود، جرجي زيدان حياته، أعماله ما قيل فيه، ص 255.

3- سهيل إدريس، محاضرات عن القصة في لبنان، مطبعة جامعة الدول العربية، دط مصر 1957، ص 15.



للهجرة⁽¹⁾، ويقصد بقوله (نفض الغبار عن التاريخ) بمعالجته لموضوعات تمس ذات القارئ، بل وتوقظ فطرة الفضول فيه، فتثير لديه الرغبة في الإطلاع على تاريخه، وبذلك يكون زيدان في نظره صاحب الإسهام الأول في إنعاش وبعث الوعي القومي العربي بأهمية العودة إلى التاريخ وقراءته وتمعن أحداثه، وأداة لتواصل الأجيال عبر قناة تاريخية بحتة.

وبالإضافة لسهيل إدريس هناك من النقاد والأدباء من أقرّوا بفضلته وتميزه من بينهم "نقولا حداد" الذي يتحدث عنه في مقال بعنوان جرجي زيدان الروائي، يقول فيه "جمعت روايات زيدان دقة الحقائق التاريخية وجمال الحوادث القصصية وسلامة الأسلوب وبلاغة اليراع... فإذا وقعت في يدك نسخة من أية رواية من رواياته وقرأت منها صفحة يشق عليك أن تتركها قبل أن تنتهي منها مهما كانت شواغلك⁽²⁾."

ويضيف مبرزا علو همته واجتهاده الملموسين في منهجية تأليفه الروائي: "وهو كروائي مؤرخ يتناول جميع الحقائق التاريخية من مصادر التاريخ الموثوق بها، وينسجها في قالب الرواية بحيث لا تستطيع أن تميز بين أن تقرأ قصة فكاهية وتاريخا مسجلا، وفي حواشي رواياته مسندات المصادر التاريخية الأمر الذي يصور للقارئ القليل من معاناة التأليف لهذا النوع من الروايات"⁽³⁾، ثم أردف مثبتا قدرته على التأثير في القارئ، بقوله: "فالذي يطالع رواياته يطلع على تاريخ الشرق لعهد الإسلام ويستلذ هذا التاريخ ويستوعبه من غير أن يعنت ذهنه"⁽⁴⁾.

ويأتي "رفيق العظم" ليؤكد كل هذه الآراء، فيقول: "حسبه من الفضل الموجب لشكره الرافع لمكانته بين المؤرخين أنه انتهج لقومه منهجا جديدا في التأليف، لم يسبق إليه، يفيد الباحثين ويكون أحسن مثال للمؤرخين من أبناء العربية، بآثاره الخالدة وتأليفه الكثيرة، التي تشهد أنه من نوابغ الرجال الذين يستحقون كل إعظام وإجلال"⁽⁵⁾.

1- جرجي زيدان، غادة كربلاء، روايات تاريخ الإسلام، دار الجبل، دط، بيروت، 1997، ص 3.

2- نظير مارون عبود، جرجي زيدان، أعماله ما قيل فيه، ص 223.

3- المرجع نفسه، ص 223.

4- المرجع نفسه، ص 224.

5- المرجع نفسه، ص 232 - 233.



كما وقد شبهه "داود بركات" بالمنارة الباسقة التي ترسل أشعتها المضيئة إلى العالم العربي، بل إلى العالم الإسلامي كله؛ يقول: "صاحب فتاة غسان وأرمانوسة المصرية و عذراء قريش،... مؤلفات يكفي ذكرها اليوم ويكفي ذكرها غداً وبعد غد وإلى الأبد، في أرقى الأمم علماً وأسماءها حضارة حتى يكون اسم جرجي زيدان عنوان النشاط والجد وعنوان الأدب والفضل، وحتى يمثل هذا الاسم كمنارة من المنائر التي قامت في مصر وأرسلت أشعتها إلى العالم العربي، ويدوم فضله ويخلد بالسنة التي سنّها بعد ذلك للكتاب المؤلفين في الكتابة والتأليف وبالطريقة التي انتهجها في ترويج العلم حتى يكون العلم للجميع"⁽¹⁾.

ب- كفة المعارضين (زيدان في قفص الاتهام):

إنّ أغلب الآراء النقدية المتناولة لأعماله الروائية سلكت اتجاهها معارضا، إذ صوّبت عليه سهام نقدها ووجهت إليه أصابع اتهامها، فكانت الأكثر من ناحية الكمية، رأينا تصنيفها إلى جانبين شكلي ومضموني.

- الجانب الشكلي (الملامح الفنية العامة):

يبرز في اضطراب البناء الفني لروايات جرجي زيدان انطلاقا عناصرها الأساسية: الشخصيات، الأحداث، العقدة، الحوار، اللغة.

1- الشخصيات:

تعد الشخصية الروائية محور ودعامة العمل الروائي، وأساس العقدة فيه، لذا كانت أكثر العناصر تعرضا للنقد، وجهت لها انتقادات عديدة، منها نقص الاعتناء اللازم بالشخصيات الروائية، وعدم قدرة جرجي على التغلغل إلى أعماقها، فهو يميل إلى الوصف السطحي العام لها، يمثلها بالصفات الإنسانية المشتركة كالكرم والإخلاص والشجاعة والوفاء أو نقائضها من الصفات كالغدر والخيانة والجبن⁽²⁾، حتى أن شخصياته التخيلية تتشابه في مظاهرها الخارجية أيضا،

1- المرجع نفسه، ص 255.

2- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 104.

فكلهن ملكات جمال "جمعن بين لطف النساء وحزم الرجال وشجاعتهن"⁽¹⁾، فسلمى في غادة كربلاء فتاة في مقتبل العمر "لم تقع عينه من قبل على فتاة في وجهها من الجمال والهيبة ما في وجه هذه الفتاة"⁽²⁾، حتى أن زيدان سماها "عروس الرواية"، وكل قريناتها في باقي الروايات يشاركنها سحر الجمال وعزة النفس والأنفة، وهذا عجز منه وعدم مقدرة على التحليل النفسي للشخصيات شملت التاريخية منها⁽³⁾، فلا نجد طوال الأربع والستين بعد المئتين صفحة من الرواية قد ذكر شيئا عن شخصية الحسين بن علي رضي الله عنهما لا واصفا ولا محللا.

2- الأحداث:

ثاني أهم عنصر حاز اهتمام النقاد، يتعلق بمدى قدرة المؤلف على الربط بين أحداث الرواية، خاصة وأنّ الأحداث فيها تتعالق بين نوعين، تاريخية خاصة بالأحداث والشخصيات والوقائع الحقيقية الثابت حدوثها تاريخيا في بيئتها الزمانية والمكانية، ومتخيلة تتناول حادثة غرامية تجمع بين عاشقين، تحول بين اجتماعهما الحوائل والعقبات، ثم يجمع شملهما في نهاية العمل الروائي، وقد وجهت لجرجي في هذا الجانب عدّة انتقادات، نذكر على سبيل التمثيل:

- الاعتماد في الربط بين الحدث التاريخي والمتخيل على المصادفات والمفاجآت التي تفقد الرواية طابعها الفني وتماسك الحكمة فيها⁽⁴⁾، والتي تعدّ في الرواية أبسط أنواعها وأكثرها بدائية وسذاجة، بل هناك من يرفض اعتبارها رواية فنية على الإطلاق⁽⁵⁾.

- الإكثار من عملية الوصف الحضاري والجغرافي والتاريخي، حتى أنه يفتح جميع رواياته بلمحة عن الأوضاع السائدة في الفترة المعالجة أحداثها التاريخية خلالها⁽⁶⁾، وكثيرا ما يختصر ما ينبغي الإطناب فيه ويطنب فيما ينبغي الاختصار فيه كوصف الأديرة والبساتين والقصور...⁽⁷⁾ وصف قد يستغرق صفحات عديدة وبذلك تعطل سيرورة الأحداث بحركة التوقف السردية، ليعادل فيه زمن الحكاية درجة الصفر لمدة طويلة.

1- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، ص 312.

2- جرجي زيدان، غادة كربلاء، روايات تاريخ الإسلام، ص 16.

3- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 103.

4- محمد يوسف نجم، فن القصة، دار الثقافة، دط، بيروت، دت، ص 42.

5- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 97.

6- المرجع نفسه، ص 101.

7- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، ص 314.



3- العقدة:

وهي العنصر الذي يلعب دوراً بارزاً في تقديم الأحداث حتى وصولها إلى النهاية المرجوة، وهي الأخرى "متشابهة، بل أنها توشك أن تكون موحدة"⁽¹⁾ تتجسد في شخصين متحابين، قد يكونا متخيلين أو أحدهما متخيل والآخر تاريخي، تحول بينهما مؤامرات ودسائس الأعداء، غير أنه يطورها بحسب النهاية التاريخية فهو يحتكم في نهايات رواياته إلى التاريخ.

4- الحوار:

بما أن نزعة جرجي زيدان التعليمية قد أثرت في تطور الأحداث والشخصيات والعقدة فبالضرورة يظهر تأثيرها على عنصر الحوار في الرواية، ذلك أن رغبته هاته فرضت عليه الكتابة وفق نمط معين، لضمان الإفادة للقارئ على اختلاف مداركه، مما جعله يعتمد أسلوباً سهلاً أقرب إلى أسلوب السرد العلمي المبسط، الذي يفيد القارئ ويوصل إليه معلوماته⁽²⁾، فلا يلجأ إلى الحوار إلا اضطراراً، حتى في حال لجوئه للحوار فهو لا يعبر به عن الشخصيات نفسها، بل يجعلها تسرد الوقائع التاريخية، لذا فاعتماده على عنصر الحوار كان ضئيلاً رغم أنه أسلوب تعبير مهم في الرواية، فهو صفة لا تنفصل عن الشخصية بل تعتبر أهم وسيلة يستند عليها الكاتب في رسم ملامح شخصياته وتحقيق عملية التواصل بينها.

5- اللغة:

تمثل أسلوب الكاتب في نسج نصه من خلال ترتيب جملة وعباراته التي تنسق بين عناصره المختلفة، وزيدان يميل إلى الأسلوب السهل البسيط، وسيلته في ذلك سلاسة العبارة، الملفوظة على السليقة في غير تكلف ولا تصنع، تحقيقاً لهدف إيصال الفكرة أو المعلومة التاريخية إلى المتلقي، لكن غايته هذه ليست مبرراً مقنعاً لضعف أسلوبه واضطراب لغته، فقد كان "بإمكانه أن يحافظ على جمال الأسلوب وإتقانه"⁽³⁾.

1- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 99.

2- المرجع السابق، ص 105.

3- محمد يوسف نجم: القصة في الأدب العربي الحديث، ص 185.



ويؤكد المازني على اضطراب لغة جرجي زيدان حين أظهر تعامله على رواياته، مبعدا عنها صفة الإبداع والحسن اللذين عرفا عن المؤلفين العرب الأوائل، إذ يرى أن كثرة إنتاجاته دليل قلة رويته وسوء تدبيره في التأليف الذي انعكس في لغته وأسلوبه⁽¹⁾.

- الجانب المضموني (المادة التاريخية):

يبرز هذا الجانب في مضمون المادة التاريخية، باعتبار الصور المراد رسمها مشروطة بالصدق والموضوعية، لتكون أقرب إلى الحقيقة التاريخية، غير أن النقاد اتهموا جرجي زيدان بعدم الأمانة وتشويه الحقائق وتزييف التاريخ الإسلامي، انطلاقا من تفحص نصوصه الروائية جميعها نصّا، حتى أنهم اعتبروها مؤامرة حيكت بهدف إفساد مفهوم الشخصية والبطولة الإسلامية⁽²⁾، مؤامرة كتب عنها الأئمة والمشايع في مؤلفات عديدة، فرفضوها ووجهوا لها نقدا لاذعا، لاشتمالها على مواقف مصطنعة وحوادث مختلقة، "ولعلّ صاحبها يوهّم قراءه بأنّ هذا من قواعد الفن القصصي، لجذب القراء وإثارة الاهتمام ، ولكن هذا إذا صحّ في القصة الخيالية فإنه لا يصح بحال من الأحوال في القصة التاريخية"⁽³⁾.

ومن رجال الدين من اعتبرها سموما "لأنّ ضرر هذه الروايات بالغ، فهو يدس السم في الدسم، ويعتمد في عرض باطله على أسلوب جميل أخاذ، يشد الناشئة من الفتيان والفتيات، ويقوم على دغدغة العواطف، بل أنّ هذه الروايات طبعت بأغلفة أنيقة ورُسم عليها صور فاتنات بالألوان وتباع بأرخص الأثمان"⁽⁴⁾.

أما من النقاد فنجد قراءة نقدية لشوقي أبو خليل قدم فيها تحفظاته عن نص عادة كربلاء⁽⁵⁾ لخصها في ملاحظات نذكر منها:

- 1- قاسم عبده القاسم ، أحمد إبراهيم الهواري : الرواية التاريخية في الأدب العربي، ص 172.
- 2- أنور الجندي، مؤلفات في الميزان مطبوعات، وزارة الشؤون الإسلامية للأوقاف، دط، الإمارات العربية المتحدة، دت، ص 60.
- 3- أحمد الشرباصي، يسألونك في الدين والحياة، دار الراشد العربي، ط1 لبنان 1972، ص 484.
- 4- أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، كتب حذر منها العلماء، دار الأصيل للنشر والتوزيع ، ط1، مج2، السعودية، 1995، ص 287.
- 5- شوقي أبو خليل ، جرجي زيدان في الميزان، ص 91- 104.



- سلمى التي وصفها جرجي زيدان ونسج حضورها على أنها ابنة الصحابي الجليل جبر بن عدي المسمى حجر الخير، ليس لها وجود في المراجع التاريخية العربية.
- قال أن العباس بن أبي طالب هاجر إلى المدينة⁽¹⁾، وهذا خطأ تاريخي لأنه بقي في مكة إلى حين الفتح.
- يذكر أن يزيد بن معاوية قد أعجب بسلمى البطلة المتخيلة، وفي سياق سرده لهذا الحدث أتى بذكر الخمر والطنبور والعشق في صفحات عديدة⁽²⁾، وهذا تزييف ألحق بيزيد الذي عرف عنه مواظبته على الصلاة وتحريره للخير وملازمته للسنة.
- يروي جرجي زيدان على لسان مسلم بن عقيل مخاطبا سلمى أنه "لو في رجالنا عشرة مثلك ما أصابنا ما أصابنا"⁽³⁾، أليس في هذا القول تحقيق لجند آل البيت.
- جعل مسرح أحداث الرواية في الأديرة والكنائس مع القساوسة والراهبات، حيث الأمن والأمان والطمأنينة والرأي السديد القويم مع إضافته هالات مثالية على كل ما هو مسيحي⁽⁴⁾.
- هناك تحريف وتزييف تاريخي في قول عبد الرحمن "حسبك أنك قتلت ذلك الدعي وأنقذت المسلمين من ظلمه"⁽⁵⁾ ويقصد به يزيد، والحقيقة التاريخية تقول أنه توفي سنة 64 هـ وفاة طبيعية ولم يقتله أحد.
- ربط الأحداث فيها بخواطر الشخصيات المتخيلة، فيفتري على ألسنتها ما يشاء مثل: سمع هاتف، قال في نفسه، تصوّرت، حدثتها نفسها، تخيلت، يكتب الخواطر في النفس⁽⁶⁾.
- وملخص الانتقادات التي مست رواياته من حيث بنائها الفني وكذا مضمونها التاريخي يتجسد في رأي ل"عمر الدسوقي" يقول فيه: "ما هي إلا تاريخ في قالب قصّة لم تكتمل شروطها الفنية، وتاريخ لم يحافظ فيه على الحقائق"⁽⁷⁾.

1- جرجي زيدان، غادة كربلاء، روايات تاريخ الإسلام، ص 07.

2- المصدر نفسه، ص 72، 74، 81، 185.....

3- المصدر السابق، ص 181.

4- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، ص 91-104.

5- جرجي زيدان، غادة كربلاء، روايات تاريخ الإسلام، ص 181.

6- شوقي أبو خليل، جرجي زيدان في الميزان، ص 91-104.

7- عمر الدسوقي، في الأدب العربي الحديث، ط 8، ج 1، القاهرة، 1970، ص 268.

خاتمة:

لقد أصبح الاهتمام بتأليف النصوص السردية ودراستها في الوطن العربي كبيرا وواسعا، وبالرواية على وجه الخصوص، إلى حد جعل بعض النقاد يعدونها "ديوان العرب في القرن العشرين" (1)، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما أوردها سابقا عما ذكر عن أعمال جرجي زيدان الروائية، من قراءات نقدية اختلفت أحكامها وتعددت آراءها ومواقفها وتنوعت وتباينت، فيها المؤيد المعجب بطريقة نسجه للأحداث التاريخية بأسلوب قصصي جذاب، والمعارض المعيب عليه تصرفه في المادة التاريخية وفق قالب بائن فقره الفني.

غير أنّ فضل سبقه لهذا النوع الروائي كفيل برّد التهم عنه، وبحكم معطيات ذاك الزمان ما كنّا لنتنظر منه أكثر مما قدّم، وكيفية فخرا أنه مثل بداية الرواية التاريخية العربية، فلفت انتباه الأدباء إلى نوع أدبي جديد هندس له هيكلًا عامًا، يتفق فيه مع جميع الأدباء، باعتماده على ثنائية (الواقع/المتخيل) كأساس للرواية التاريخية، غير أنها تختلف في ارتكانها لقانون التطور الإنساني، الذي جعلها تتخلى عن الفكرة التي جاء بها جرجي زيدان، وتبني في كل مرة قانونا خاصا بحسب معطيات الحاجة الأدبية والتاريخية، فقد مرّت بمراحل غيّرت طريقة بنائها وانتظامها شأنها في ذلك شأن الرواية العربية.

قد حاولنا في هذا البحث تتبع مسار العلاقة التي ربطت نص غادة كربلاء باعتباره نصا روائيا يندرج ضمن محور عام يتصل بالتخييل، وبين نصوص تاريخية مثلت الجانب التوثيقي المرجعي، في قراءة تحليلية استنتاجية قائمة على مساءلة النص الزيداني، وفرت لنا إمكانية الخلوص إلى ما يلي :

- إن التخلل التاريخي للرواية الظاهر في حضور التاريخ بصورة جلية معلنة طيلة مسارها السردية، أزاحها نحو طبيعته النوعية فجعل منها رواية تاريخية، متعلقة أحداثها بزمان ومكان ثابت تواجدتهما في الذاكرة الإسلامية .

- إن تداخل ما هو تخيلي وما هو توثيقي وتراكمهما على بعض، حقق تواصلًا لمكوناتها عبر علاقات التداخل والتعلق والتخييل، بصور تعددت أشكالها وتجلياتها.

1- عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، ص 297.



- رغم ما قيل عن جرجي زيدان وما رميت به أعماله من نقص ونقد فحسبه إنجازا عظيما أنه مثّل بداية هذا اللون من الروايات، إذ "يعتبر زيدان وحتى يومنا هذا المؤسس الحقيقي والممثل الرئيسي للرواية التاريخية"⁽¹⁾، فقد كان صاحب طريقة جمعت بين التعليم والتسلية والتاريخ⁽²⁾.

- إنّ ما لم نجد له عذرا وإن بحثنا له عن أعذار، كالهفوات المطبعية أو الاختلافات في رواية الأقوال والأحاديث النبوية، أو في السند، ومبررات أخرى كحساسية الفترة التاريخية المنتقاة وتضارب الأقوال عنها، أو تلك الخاصة بذات المؤلف، كالتأثير الظاهر لديانته المسيحية على جلّ أعماله وكتاباتهِ وغيرها، إلا أن ما لا مبرر له ولا مسوغ إدراجه استشهادا قرانيا في الرواية لم نجد له موضعا في كتاب الله، كقوله: (قوله تعالى: وبشر الذين ظلموا بعذاب أليم)⁽³⁾، وليس هذا من كلام الله أبدا، بل هناك آية واحدة بهذا الترتيب والتركيب اللفظي والدلالي هي: ﴿وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ وهي الآية رقم 03 من سورة التوبة.

إنّ الكتابة الروائية للتاريخ لا تعني أبدا الاعتداء على حرمة المقدس، فقد كان عليه على سبيل الأمانة الوثائقية أن يتحقّق من صحة ما أورده استشهادا من القرآن الكريم، خاصة وقد كرره واستعان به في مواضع عدّة من روايته، فإن كان جهلا منه فذلك يقدر في أمانته العلمية، وإن كان قصدا فتلك جرأة على كلام الله وتحريف له.

1- اكناتي كرا تشكوفسكي، الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، ص 33.

2- عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، ص 106.

3- وردت العبارة في الرواية مكررة في الصفحات: ص 37، 38، 53، 262 من الرواية.



قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان: كتب حذر منها العلماء، تقديم: بكر عبد الله أبو زيد، دار الأصمعي للنشر والتوزيع، ط1، مج2، السعودية، 1995.
2. أحمد الشرباصي: يسألونك في الدين والحياة، دار الرائد العربي، ط1، لبنان، 1972.
3. اكناتي كرا تشكوفسكي: الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، تقديم و ترجمة : عبد الرحيم العطوي، دار الكلام للنشر والتوزيع، دط، الرباط، 1984.
4. أنور الجندي: مؤلفات في الميزان مطبوعات، وزارة الشؤون الإسلامية للأوقاف، دط، الإمارات العربية المتحدة، دت.
5. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، دط، ج 3، دون ذكر مكان الطبع، دت.
6. جرجي زيدان: غادة كربلاء، روايات تاريخ الإسلام، دار الجبل، دط، بيروت، 1997.
7. روجر آلن: الرواية العربية، ترجمة حصة إبراهيم المنيف، المجلس الأعلى للثقافة، سوريا، 1997.
8. سهيل إدريس: محاضرات عن القصة في لبنان، مطبعة جامعة الدول العربية، دط، مصر، 1957.
9. شوقي أبو خليل: جرجي زيدان في الميزان، دار الفكر، ط 3، دمشق، 1982 .
10. عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003.
11. عبد المحسن طه بدر: تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، دط، مصر، 1968.
12. عمر الدسوقي: في الأدب العربي الحديث، ط 8، ج1، القاهرة، 1970.
13. غنيمي هلال: الأدب المقارن، مكتبة الأنجلو مصرية، ط 4، القاهرة، 1970.
14. قاسم عبد قاسم، أحمد إبراهيم الهواري: الرواية التاريخية في الأدب الحديث، دار المعارف، دط، القاهرة، 1974.
15. محمد يونس نجم: القصة في الأدب العربي، دار الثقافة، دط، بيروت، دت.
16. نظير مارون عبود: جرجي زيدان حياته أعماله ما قيل فيه، دار الجيل، دط، بيروت، 2000.